بسم الله الرحمن الرحيم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا)).

الحج أحدُ أركان الإسلام ،فرَضَه الله على أهل الإسلام بقوله سبحانه:{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[آل عمران: 97]، وهو واجب مرة في العمر، على كل مسلم بالغ عاقل، إذا استطاع إليه سبيلا، وكلُّ مسلم يتمنى أن ينال شرف هذه الزيارة، طمعًا في المغفرة، وتلبيةً لنداء إبراهيم عليه السلام الذي أمره الله سبحانه بتبليغه للناس، قال تعالى:{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}[الحج: 27].

وقد جاء التصريح بأنَّ الحج أحدُ أركان الإسلام؛ فعن ابْنِ عُمَرَ أنّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)). وعَنْ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((لاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا فَإِذَا تَرَكُوهَا وَضَيَّعُوهَا هَلَكُوا)).

وللحج منزلة عظيمة إذ هو من أفضل الأعمال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ. قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ. قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ))

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟

قَالَ: لاَ لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ)). ولقد بين صلى الله عليه وسلم أنّ الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنّة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ)).

والحاج إن حج ولم يرفث ولم يفسق تطهَّر من ذنوبه وآثامه فيرجع كيوم ولدته أمه، صحيفته بيضاء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)). فهنيئاً للحجاج مغفرة الذنوب، فهم وفد الله وضيوف الرحمن، وحق للمزور أن يكرم الزائر، عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللهِ دَعَاهُمْ

فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ))، وفي سنن الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِى الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ)).

ولهذه الشعيرة مقاصد وغايات، فمن هذه المقاصد التي ينبغي أن نفهمها:

1-تحقيق التوحيد والإخلاص لله عز وجل: فالله تعالى لم يأمر نبيه إبراهيم عليه السلام ببناء البيت إلّا لتحقيق توحيده سبحانه، حيث قال تعالى:{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا}[الحج: 26] . وأمّا عن تحقيق الإخلاص قال تعالى:{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِّ}[البقرة: 196] .

2-تحقيق معنى العبودية والانقياد لله سبحانه وتعالى، وهذا يظهر بوضوح عند استجابة الحاج للقيام بأركان وواجبات هذه الفريضة، من ارتداء لباس الإحرام ،والطواف بالكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، فهو يقوم بهذا الأعمال منقادًا لأمر الله تعالى، ومتأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم وإن غابت عنه الحكم والمقاصد من القيام بهذا الأفعال، إلّا أنه لم يغب عنه أنه عبد منقاد لأمر سيده ومولاه. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص: ((لبَّيك بحَجَّةٍ حقًّا؛ تعبُّدًا ورِقًّا)).

3-تنقية النفس من الأخلاق المذمومة، فقد نهى اللهُ سبحانه وتعالى الحاج عن الفحش والسباب واللغو والجدال، قال تعالى:{فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُّ}[البقرة: 197] .فيعتاد المسلم على الابتعاد عن مثل هذه الأخلاق المذمومة بعد الحج؛ لأنها مذمومة في كلّ زمان ومكان.

4- التنبيه على أهمية الاستعداد للآخرة، فقد نبّه الله سبحانه وتعالى الحاج الذي يتزود عند سفره بما يكفيه من زاد الدنيا من مال وطعام وغيره، ألّا ينسى التزوّد للدار الآخرة، وخير ما يتزود به في سفره للدار الآخرة هو تقوى الله سبحانه، وذلك بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي والسيئات، قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[البقرة: 197].

5- الحثّ على تعظيم شعائر الله سبحانه، فالمسلم عندما يعتاد على تعظيم شعائر الله المتمثلة في أعمال الحج من الطواف والوقوف بعرفة ورمي الجمار وذبح الهدي وغيرها، فإنّ ذلك يربي في نفسه تعظيم أوامر الله وتقواه في كلّ وقت؛ لذلك قال تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِّ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}[الحج: 32].

6- الاعتدال والموازنة بين المصالح الدنيوية والأخروية، فقد أباح الله سبحانه للحاجّ أن يجمع بين أداء المناسك وبين التجارة والتكسّب، بشرط ألا تؤثِّر على المقصد الأصلي ألَا وهو العبادة، قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ}[البقرة: 198]، وقال: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ}[الحج: 28].

ومن أعظم أركان الحج :الوقوف بعرفة ،فهو من أعظم شعائر الحج، وقد وقف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم راكباً ناقته القصواء، وخطب خطبته الشهيرة.

ويوم عرفة هو يوم فرح عظيم، يحظى فيه الحجاج بالرحمات، ويفوزون بالأجر والثواب العظيم، فهو يوم يغفر الله فيه الخطايا والذنوب ،ويعتق عباده من النار، وهو يوم يقف فيه النّاس جميعا على صعيد واحد كلهم سواء متجردين من لباس الدنيا، كأنهم في يوم الحشر، أما إبليس فلا يُرى أذل وأصغر وأحقر منه في يوم عرفة.

وفي يوم عرفة الكل يرفع يديه بالدعاء يرجو الرحمة والمغفرة، وقد روى ابن عبد البر بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((وقف صلى الله عليه وسلم بعرفات، وكادت الشمس أن تؤوب فقال: يا بلال! أنصت لي الناس. فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنصت الناس فقال: ((معاشر الناس، أتاني جبريل آنفًا، فاقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله غفر لأهل عرفات وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات)) فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، هذا لنا خاص؟ فقال: هذا لكم، ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة.

فقال عمر رضي الله عنه: كثر خير الله وطاب)).

وقَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِى بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ)).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَقُولُ لَهُمْ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا)).

وصيام يوم عرفة سنة، حيث كان صلى الله عليه وسلم يصومه، فمن صام يوم عرفة فله أجر عظيم، ففي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: ((صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي

بَعْدَهُ))، فحري بنا أن نغتنم الفرصة وألاّ نضيِّع أفضل أيام الدُّنيا؛ فإذا كانت ليلة القدر مجهولة فيوم عرفة معلوم، وإذا كانت ليلة القدر تتنزل فيها الملائكة ،فإن الله ينزل يوم عرفة؛ وهو من أيام العشر من ذي الحجة، وهي من أحب وأفضل الأيام عند الله تعالى، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: ((مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ. قَالُوا وَلاَ الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلاَ الْجِهَادُ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ)).

قَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُّ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِى بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ)).

ألا فسألوا الله تعالى بصدق أن يرزقكم حجة إلى بيته الحرام، وزيارة إلى مسجد رسوله عليه الصلاة والسلام، وإن لم تكونوا مع حجاج هذا العام بأجسادكم، فكونوا معهم بقلوبكم، فمن نوى عمل الخير وعزم عليه فإنه يؤجر عليه بحسب نيته، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُّ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ)).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين